عطاء الله بلا حدود

يقول أحد الصالحين:

- إن العبد على قدر حبه لله يُحبِّبه إلى خلقه.
- وعلى قدر توقيره لأمره يوقره خلقه.
- وعلى قدر التشاغل منه بأمره يشغل به خلقه.
- وعلى قدر سكون قلبه على وعده يطيب له عيشه.
- وعلى قدر إدامته لطاعته يحلّيها في صدره.
- وعلى قدر لهجه بذكره يديم ألطاف بِره.
- وعلى قدر استغنائه عن خلقه يؤنسه بعطائه.

فلو لم يكن لابن آدم الثواب على عمله إلا ما عُجّلَ له في دنياه، لكان كثيراً، سوى أنه يريد أن يصير إليه من جزيل جزائه، وعظيم عطائه ما لا يحيط به إحصاء، ولا تبلغه مُنىً؛ إذ كان يعطي على قدر ما هو أهله إنه ملك كريم.

❑❑

السعي نحو الآخرة

الدرجات التي يسعى إليها أبناء الآخرة سبعة:

التوبة، ثم الزهد، ثم الرضا، ثم الخوف، ثم الشوق، ثم المحبة، ثم المعرفة.

1 ـ فبالتوبة تطهّروا من الذنوب.

2 ـ وبالزهد خرجوا من الدنيا.

3 ـ وبالرضا ألبسوا فراطن العبودية.

4 ـ وبالخوف جازوا قناطر النار.

5 ـ وبالشوق إلى الجنة استوجبوها.

6 ـ وبالمحبة عقلوا النعيم.

7 ـ وبالمعرفة وصلوا إلى الله تعالى.

❑❑

قانون الزهد والعبادة

اعلموا أنه لا يصح الزهد والعبادة ولا شيء من أمور الطاعة لرجل أبداً وفيه للطمع بقية؛ فإن أردتم الوصول إلى محض الزهد والعبادة، فأخرجوا من قلوبكم هذه الخصلة الواحدة، وكونوا رحمكم الله من أبناء الآخرة، وتعاونوا واصبروا وأبشروا، تظفروا إن شاء الله.

* واعلموا: أنّ ترك الدنيا هو الربح نفسه الذي ليس بعده أمر أشد منه، فإن ذبحتم نفوسكم بتركها أحييتموها، وإن أحييتم أنفسكم بأخذها قتلتموها، فارفضوها من قلوبكم تصيبوا شرف الدنيا والآخرة.

* وطّنوا أنفسكم على طاعة الله بترك شهواتها قبل أن تلقي الشهوة منها أجسامكم في ديار عاقبتها.

اعلموا: أن القرآن قد ندبكم إلى وليمة الجنة، ودعاكم

إليها، فأسرعُ الناسِ إليها أتركُهم لدنياه، وأوجدُهم لذةً لطعم تلك الوليمة أشدهم تجويعاً لنفسه،ومخالفاً لها، فليس هناك أمر من أمور الطاعة إلّا وأنتم تحتاجون أن تخرجوه من بين ضدين مختلفين بجهدٍ شديد. وسأظهر لكم هذا الأمر:

فإني وجدت أمر الإنسان أمراً عجيباً، قد كُلف الطاعة على خلاف ما كُلف سائر الخلق من أهل الأرض والسماء فأحسن النظر فيه،وليكن العمل منك فيه على حسب الحاجة منك إليه،واستعن بالله إنه نعم المعين.

واعلم: أنك لن تسكن الدنيا لتتنعم فيها جاهلاً، وعن الآخرة غافلاً ولكنك أسكنتها لتتعبد فيها عاقلاً، وتمتطي الأيام إلى ربك عاملاً، فإنك بين دنيا وآخرة ولكل واحد منهما نعيم، وفي وجود أحدهما بطلان الأخرى، فانظر أن تُحِسنُ طلب النعيم.

فقد حُكي عن إبراهيم بن أدهم أنه قال: غلط الملوك طلبوا النعيم فلم يحسنوا، وعلى حسب اقتراب قلبك من الدنيا يكون بعدك من الله، وعلى حسب بعد قلبك من الدنيا يكون قربك من الله.

❑❑

ذنوب ورحمة

لله در القائل:

ذنوبي إن فكَّرتُ فيها كثيرةٌ
ورحمة ربي من ذنوبي أوسعُ

وما طمعي في الصالح قد عملتُهُ
ولكنني في رحمةِ اللهِ أطمعُ

□□

علامات ضعف الإيمان

أولًا: من علامات ضعف الإيمان:

1 ـ قسوة القلب فلا تؤثر بالإنسان موعظةٌ رقيقة ولا نازلةٌ أليمةٌ.
2 ـ سهولة الوقوع في المعاصي والانزلاق إلى المحرماتِ.
3 ـ عدم إتقان العباداتِ.
4 ـ عدم الغضب إذا انتهكت حرماتِ الله ﷻ.
5 ـ الشح والبخل.
6 ـ التكاسل عن أداء النوافل.

وأمور أخرى تلعب دوراً في زيادة ضعف الإيمان مثل:

* المغالاة بالاهتمام بالنفس مأكلاً وملبساً ومركباً وإنفاقاً للأوقات والأموال.

* عدم استشعار المسؤولية في العمل لهذا الدين وعدم الاهتمام بقضايا المسلمين العامة ولا التفاعل معها.

* كثرة الجدال والمراء، وضيق الصدر وحب الظهور.

ثانياً: من أسباب ضعف الإيمان:

1 ـ الابتعاد عن الأجواء الإيمانية لفترة طويلة.
2 ـ الابتعاد عن القدوة الصالحة.

obeikandl.com

3 ـ الابتعاد عن الاستزادة من القرآن الكريم ومن العلوم الشرعية.

4 ـ استمرار وجود الفئة المؤمنة في الأوساط التي تعج بالمعاصي.

5 ـ الاستغراق في الاشتغال بالدنيا والأولاد.

6 ـ طول الأمل.

7 ـ سوء الفهم لبعض المفاهيم الإيمانية الأساسية (القضاء والقدر).

8 ـ كثرة المعاصي بصورة عامة ومنها السخرية والكذب، والغيبة.

9 ـ العجب والغرور والكبر.

ثالثاً: من معالجات ضعف الإيمان:

1 ـ الابتعاد عن الأصحاب الغافلين والأوساط المنغمسة باللهو والمجون.

2 ـ الإكثار من المجالس الإيمانية ومصاحبة أهل الدين والتقوى.

3 ـ الإقبال على القرآن الكريم قراءةً وتدبراً وعملاً.

4 ـ استشعار هيبة ذي العزة والجبروت ﷻ، والتماس حظ العبد من باقي أسماء الله الحسنى.

5 ـ قصر الأمل وتذكر منازل الآخرة وزيارة القبور.

6 ـ الالتزام الصادق بمطالب الشرع والتمتع بها (الصلاة،

obeikandl.com

غض البصر، الحجاب...).

7 ـ ذكر الله ﷻ والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ.

8 ـ الدعاء والمناجاة والاستغفار.

رابعاً: من علامات قوة الإيمان:

1 ـ تحرير مقصد الإنسان لله ﷻ في كل عمل يعمله (الإخلاص).

2 ـ الولاء والبراء والحب في الله والبغض في الله.

3 ـ علو الهمة في سرعة تمثل الأوامر واجتناب النواهي وتعظيم شعائر لله ﷻ.

4 ـ حسن الخلق والتواضع لخلق الله والتذلل للمؤمنين.

5 ـ التفكير في أحوال (المؤمنين) المسلمين.

6 ـ علو الهمة في الدعوة إلى الله ﷻ.

7 ـ شدة الخوف من الله ﷻ إن لم يقبل العمل وعظيم الرجاء بعفوه وإكرامه[1].

❑❑

المسلم المعاصر كيف يكون؟

يقول الشيخ البشير الإبراهيمي ﷺ: عن تصوره للمسلم المعاصر وكيف يكون:

* أتمثلهُ متسامياً إلى معالي الحياة، عربيد الشباب في

(1) نقلًا من مقال د. عبد الله الحنفي، مجلة الرائد، مجلة المستقبل الإسلامي تصدر عن الدار الإسلامية للإعلام. بون. ألمانيا/ العدد(165) جمادى الثانية 1415 هـ تشرين الثاني 1994.

طلبها، طاغياً عن القيود العائقة دونها، جامحاً عن الأعنَّة الكابحة في ميدانها، متَّقد العزائم، تكاد تحتدم جوانبه من ذكاء القلب وشهامة الفؤاد ونشاط الجوارح.

* أتمثلهُ مقداماً على العظائم في غير تهوّرٍ، محجاماً عن الصغائر في غير جبن، مقدِّراً موقع الرِّجل قبل الخطو، جاعلاً أول الفكر آخر العمل.

* أتمثلهُ واسع الوجود، لا تقف أمامه الحدود، يرى كلَّ مسلم أخاً له أخوة الدين، وكل بشر أخاً له أخوة الإنسانية، ثم يُعطي لكل أخوة حقها فضلاً وعدلاً.

* أتمثلهُ مقبلاً على العلم والمعرفة ليعمل الخير والنفع، إقبال النحل على الأزهار والثمار لتصنع الشهد والشمع، مقبلاً على الارتزاق، إقبالَ النمل تجدَّ لتجد، تدَّخر لتفتخر، ولا تبالي ما دامت دائبة، أن ترجع مرّة صائبة، ومرة خائبة.

* أحب منه ما يحب القائل:

أحبُّ الفتى ينفي الفواحش سمعه
كأن به من كلِّ فاحشةٍ وقرا.

* وأهوى منه ما يهوى المتنبي:

وأهوى من الفتيان كل سميذع
أريبٍ لِصدر السمهريّ المقوم
خَطَت تحتَه العيسُ الفلاةَ وخالطت
به الخيل كبّات الخميس العرمرم

يا شباب الإسلام هكذا كونوا.....أو لا تكونوا!

* أتمثلهُ محمدِيَّ الشمائل، غير صخَّاب ولا عيَّاب، ولا مُغتاب ولا سبّاب، عفًّا عن محارم الخلق، مقصورَ اللسان إلا عن الدعوة إلى الحق، أو صرخة في وجه الباطل. ولم يمسَسْه زيغ العقيدة، ولا غشيت عليه سُحُباً لخرافات، بل وجد المنهج واضحاً فمشى على سوائه، متين الاتصال بالله، مملوء القلب بالخوف منه، خاوي الجوانح من الخوف من الخلق، قوي الإيمان بالحياة، صحيح النظر في حقائقها، ثابت العزيمة في المزاحمة عليها، ذلق اللسان في المطالبة بها، ناهض الحجَّة في الخصومة لأجلها.

* أتمثّلهُ مقدماً لدينه قبل وطنه، ولوطنه قبل شخصه، يرى الدين جوهراً والوطن صدفاً، وهو غواص عليهما، يصطادهما معاً، ولكنه يعرف الفرق بين القيمتين فإن أخطأ في التقدير خسِرَ مرتين.

* أتمثّلهُ بانياً للوطنية على خمس، كما بني الدين قبلها على خمس:

السباب آفة الشباب؛ واليأس مفسد للبأس، والآمال لا تدرك بغير الأعمال، والخيال أوله لذة وآخره خبال؛ والأوطان لا تخدَم باتباع خُطوات الشيطان. يا شباب الإسلام هكذا كونوا... أو لا تكونوا...[1]

(1) عيون البصائر 2، ص: 586، البشير الإبراهيمي، الأعمال الكاملة.

بعنا النفوس فلا خيار ببيعنا أعظِمْ بقومٍ بايعوا الغفارا
فأعاضنا ثمناً ألذ من المنى جنات عدنٍ تتحف الأبرارا

❑❑

نصيحة للشباب

يتمنى الشيخ علي طنطاوي المربي الكبير أنْ يستفيد الشباب المسلم من تجاربه بحلوها ومرِّها. يقول: فخذوها نصيحة مني نصيحة مجرب يريد أن يجنبكم عواقب السيئ من تجاربه: دوِّنوا كل ما يمرّ على أذهانكم من أفكار وما يعتلج في نفوسكم من مشاعر، اكتبوه في حينه فإنكم إن أهملتموه فتشتم عنه فلم تجدوه[1].

❑❑

تخيّر من تقرأ له

يقول العلامة مصطفى السباعي رحمه الله:

* كل مؤلِّف تقرأ له يترك في تفكيرك مسارب وأخاديد، فلا تقرأ إلّا لمن تعرفه بعمق التفكر، وصدق التعبير، وحرارة القلم، واستقامة الضمير[2].

* كل كلمة عاشت قد اقتاتت قلب إنسان، أما الكلمات التي في الأفواه وقذفت بها الألسنة فقد ولدت ميتة، نعم مات السباعي وغيره ممن قضى نحبه لكن أفكارهم سادت وبقيت تسود بين الناس، ومن أقواله أيضاً:

---

(1) ذكريات علي الطنطاوي، ج1، ص: 249.
(2) هكذا علمتني الحياة، ص: 470، القسم الأول. ط(2)، 1972 دمشق.

* اصبر على ما يشيعه عنك مبغضوك من سوء، ثم انظر فيما يقولون، فإن كان حقاً فأصلح نفسك، وإن كان كذباً فلا شك في أن الله يظهر الحق ولو بَعُد المدى.

* لاتحرم زوجتك كل ما تطلب تتمرد عليك، ولا تعطيها كل ما تطلب تستعصي عليك.

* سر النجاح في الحياة أن تواجه مصاعبها بثبات الطير في ثورة العاصفة.

* من مفاسد هذه الحضارة: أنها تسمي الاحتيال ذكاءً، والانحلال حرية، والرذيلة فناً، والاستغلال معونة.

* نحن لا نحتاج لكي نكون سعداء إلى تعلم ما نجهل، أكثر مما نحتاج إلى تذكر ما نعلم، وأكثر متاعب الإنسان في الحياة من نسيانه للحقائق التي يعلمها.

* انصح نفسك بالشك في رغباتها، وانصح عقلك بالحذر من خطراته، وانصح جسمك بالشحِّ في شهواته، وانصح مالك بالحكمة في إنفاقه، وانصح علمك بإدامة النظر في مصادره.

* إذا همّت نفسك بالمعصية فذكِّرها بالله، فإذا لم ترجع فذكِّرها بأخلاق الرجال، فإذا لم ترجع فذكرها بالفضيحة إذا علم بها الناس، فإذا لم ترجع فاعلم أنك قد انقلبت إلى حيوان.

❑❑

زيارة للعبرة

* زُر السجن مرة في العمر، لتعرف فضل الله عليك في

الحرية.

* وزر المحكمة مرة في العام لتعرف فضل الله في حسن الأخلاق.

* وزر المستشفى مرة في الشهر لتعرف فضل الله عليك في الصحة.

* وزر الحديقة مرة في الأسبوع لتعرف فضل الله عليك في جمال الطبيعة.

* وزر المكتبة مرة في اليوم لتعرف فضل الله عليك في العقل.

* وزر ربك كل آن لتعرف فضله عليك في نِعَمِ الحياة.

❑❑

اثنان وواحد

* خلق الله لكل إنسان عينين، ولكن أكثر الناس لاينظرون إلّا بعين واحدة.

* خلق الله لكل إنسان لسان وأذنين ولكن أكثر الناس يتكلمون بلسانين ويسمعون بأذن واحدة.

* وخلق الله لكل إنسان يدين، يداً يستعملها ليعين نفسه، ويداً أخرى يستعملها ليعين غيره، ولكن أكثر الناس لا يستعملون إلّا يداً واحدة.

* وخلق الله لكل إنسان رجلين، رجلاً يسعى بها للدنيا، ورجلاً يسعى بها للآخرة، ولكن أكثر الناس لا يستعملون إلا رجلاً واحدة.

obeikandl.com

* وخلق الله لكل إنسان قلباً واحداً يحمل هموم الحياة القصيرة، ولكنه يجلب لنفسه من الهموم ما تنوء بحملها القلوب الكثيرة.

* وجعل لكل إنسان عمراً واحداً، فأضاع من أوقاته كأن له مائة عمر.

* وقضى الله على كل إنسان بالموت مرة واحدة، ولكنه رضي لنفسه بجهله وشقائه أن يموت كل يوم.

❑❑

بِمَ ينمو العقل

لا ينمو العقل إلا بثلاث: إدامة التفكير، ومطالعة كتب المفكرين، واليقظة لتجارب الحياة.

بمن يصلح العلم:

* **لا يصلح العلم إلا بثلاث:** بتعهد ما تحفظ، وتعلم ما تجهل، ونشر ما تعلم[1].

❑❑

تصوير السعادة

السعادة هي جنة الأحلام التي ينشدها كل بشر، لقد طلبها الأكثرون في غير مواضعها فعادوا كما يعود طالب اللؤلؤ في الصحراء صفر اليدين مجهود البدن كسير النفس خائب الرجاء. فالسعادة في داخل الإنسان، إذاً ليست السعادة في وفرة المال، ولا سطوة الجاه، ولا كثرة الولد، ولا نيل المنفعة،

(1) هكذا علمتني الحياة د.مصطفى السباعي، ص: (15، 52، 32، 222).

فالسعادة شيء معنوي وهي أن يعيش مقرون الصلة بالله تعالى، وأن تعيش للآخرة التي لا تزول وهي خير وأبقى.

يعجبني أن أنقل لكم قصيدة قيّمة للمفكر والباحث الكبير د.يوسف القرضاوي يحدد فيها تصور السعادة عند المسلمين وغيرهم بأسلوب أدبي سليم:

قالوا السعادة في السكون
وفي الخمول وفي الخمود

في العيش بين الأهل لا
عيش المهاجر الطريد

في المشي خلف الركب في
دعة وفي الخطو الوئيد

في أن تقول كما يقا
لَ فلا اعتراض ولا ردود

في أن تسير مع القطيـ
ـعِ وأن تقاد ولا تقود

في أن تصيح لكل وا
لٍ: عاش عهدكم المجيد

قلت الحياة هي التحرُّ
ك لا السكون ولا الهمود

وهي الجهاد، وهل يجا
هد من تعلق بالقعود

وهـــي الـــتـــلـــذ بـــالـــمـــتـــا
عـــب لا الـــتـــلـــذذ بـــالـــرقـــود
هـــي أن تـــذود عـــن الـــحـــيـــا
ض وأي الـــحـــــر لا يـــــذود؟
هـــي أن تـــحـــسّـــسَ بـــأنّ كـــأ
س الـــذل مـــن مـــاء صـــديـــد
هـــي أن تـــعـــيـــش خـــلـــيـــفـــة
فـــي الأرض شـــانـــك أن تـــــود
وتـــــقـــــول: لا، ونـــــعـــــم إذا
مـــا شـــئـــت فـــي بـــصـــر حـــديـــد

□□

الحق والباطل والحوار بينهما

كلما التقى الحق والباطل يفوز الحق على الباطل، ولو كان الباطل مدججاً ومتشدقاً بالأسلحة . يقول جمال الدين الأفغاني رحمه الله: اعتدى على الحق جاهل فنال نكاله، ينتصر الحق ويخذل الباطل، وإن طاوله الكرم، وأمهله العفو، ومده الغرور. وهذا أستاذنا الفاضل مصطفى السباعي رحمه الله، يصور لنا الحق والباطل في مشهد تمثيلي رفيع، وبأسلوب رزين يجلب للناظر التأمل:

تمنَّى الباطل يوماً مع الحق. فقال الباطل: أنا أعلى منك رأساً.

قال الحق: أنا أثبت منك قدماً.

قال الباطل: أنا أقوى منك.

قال الحق: أنا أبقى منك.

قال الباطل: أنا معي الأقوياء والمترفون.

قال الحق: قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا﴾[1]

قال الباطل: أستطيع أن أقتلك.

قال الحق: ولكن أولادي سيقتلونك ولو بعد حين.

وكم من مرة وقف الباطل مدججاً بالسلاح أمام الحق الأعزل، ومع ذلك كان الباطل يحتشد احتشاد المرعوب، ويرتجف أمامه، أما إذا أقدم الحق وهاجم، فهو الذعر والفزع، والاضطراب في صفوف الباطل.

لكن يبقى الحق بحاجة إلى سيف يؤيده، والسيف بحاجة إلى حق يوجهه، أما الحق الذي ليس له أنصار يطالبون به ولا جنود أقوياء يدافعون عنه فهو شبيه بالباطل. أما السيف إذا لم يكن في كف حاكم عادل يصرفه في تشييد دعائم الحق والإيمان وتقويض أسس الباطل ويهزه في وجه العالم فهو معول للخراب وآلة للدمار.

❑❑

لقاء بين شيطان المؤمن وشيطان الكافر

إن مع كل إنسان شيطان يجري معه كمجرى الدم، يحاول

(1) سورة الأنعام، الآية: 123.

أن يضله ويغويه بكل ما أوتي من الدهاء والخديعة والمكر ليحقق العهد الذي قطعه على نفسه أمام الحضرة الإلٰهية: ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[1].

التقى شيطان المؤمن وشيطان الكافر، فإذا بشيطان الكافر دهين كاسٍ، وشيطان المؤمن مهزول أشعث أغبر عار.

فقال شيطان الكافر لشيطان المؤمن: ما لك مهزولاً؟ قال: أنا مع الرجل إذا أكل كان يسمي الله، فأظل جائعاً، وإذا شرب سمى الله، فأظل عطشان، وإذا لبس سمى الله فأظلُّ عريان، وإذا ادهن سمى الله فأظلّ شعثاً. فقال شيطان الكافر: ولكني مع رجل لا يفعل شيئاً من ذلك، فأنا أشاركه في طعامه وشرابه ولباسه ودهنه.

وورد في الأثر: «كل أمر ذي بال لم يبدأ ببسم الله فهو أجزم».

❑❑

مصائد الشيطان

يقول الشيطان ـ عليه اللعنة ـ لضعفاء الإيمان الذين هم تحت سيطرته:

* إذا كنت شاباً قال لك: امضِ في إشباع نفسك بالشهوة والأكل الدسم، فإنك ستتوب والله يغفر الذنوب.

(1) سورة صٓ، الآيتان: 82، 83.

* وإذا صرت كهلاً قال: لا تتعجل فإنك ستتوب متى صرت شيخاً، وإن كنت عزباً قال: تتوب متى تزوجت، وإن كنت متزوجاً قال: تتوب متى حججت.

* ولا زال يؤخر عليك التوبة يوماً بعد يوم وشهراً بعد شهر حتى يفاجئك ملك الموت فيمضي بك عاصياً وفاسقاً والعياذ بالله[1].

فيا أخي إياك وإياك أن تصغي لوساوس الشيطان حتى لا تكون أسيراً لركابه أو أن تقع لمصيدتها، فإنها ستجرك للهلاك والضياع. فاحذر من مكائده عليك وتسلح بسلاح الإيمان والخشية من الله تعالى، والعنه كما لعنه وأبعده الباري ﷻ.

* وإنّ أقوى سلاح في يد الشيطان هي الإغراء بالنساء، فحاول أن تسيطر على شهواتك، فالشهوة ـ كما يقول الشيخ محمد علي الكتاني ـ زمام الشيطان، من أخذ بزمامه كان الشيطان عبده، ومن تركها كان الشيطان إلٰهه: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾[2].

□□

تذوق السعادة

يصف الشيخ يوسف القرضاوي في قصيدة له، السعادة

(1) صور وخواطر، علي الطنطاوي، ص: 8.
(2) سورة الفرقان، الآية: 43.

ومن هو السعيد بعبارات شائقة وسهلة، فإذا كنت تريد أن تذوق طعم السعادة فترجم هذه القصيدة، لتشعر بنشوة السعادة:

إن السعادة أن تعيش
كرة الحق النليذ
لعقيدة كبرى تحلُّ
قضية الكون العتيد
وتجيب عما يسأل الـ
حيران في وعي رشيد
من أين جئت؟ وأين أذ
هب؟ لِمَ خلقت؟ وهل أعود
فتشيعُ في النفس اليقـ
ـن وتطرد الشك العنيد
وتعلّم الفكر السويَّ
وتصنَع الخلق الحميد
وتردَّ للنهج الممدّ
د كلَّ ذي عقل شرود
تعطي حياتك قيمة
رب الحياة بها يشيد
ليظل طرفك رانياً
في الأفق للهدف البعيد

فـتـعـبـش فـي الـدنـيـا لأخـ
ـرى لاتـــزول ولا تـــبـــيـــد
وتـــمـــد أرضـــك بـــالـــسـمـا
ء وبـــالـــمـــلائـكـــة الـشـهـود
هـذي الـعـقـيـدة لـلـسـعـيـ
ـد هـي الأسـاس هـي الـعـمـود
مـن عـاش يـحـمـلـهـا ويـهْـ
ـتـف بـاسـمـهـا فـهـو الـسـعـيـد

❑❑

الزمان لا يفسد

أرى حُـلـلاً تُـصـانُ عـلـى أنـاس وأخـلاقـاً تـداس فـلا تُـصـانُ
يـقـولـون الـزمـان بـه فـسـادُ وهُـمْ فـسدوا ومـا فـسدَ الـزمـانُ

❑❑

ثمن واحد لبضائع مختلفة

يقول الشيخ محمد الغزالي: للمجد ثمنه الغالي، ولكن الهوان لا يعفي صاحبه من ضريبة يدفعها وهو كاره حقير. ومن ثم فالأمة التي تضن ببنيها في ساحة الجهاد تفقدهم أيام السلم، والتي لا تقدم للحرية أبطالاً يقتلون وهم سادة كرام، تقدم للعبودية رجالاً يشنقون وهم سفلة لئام، وهكذا من لم يُسهر نفسه للتعلم أياماً أسهره الجهلُ أعواماً، وما دام الشيء وضده يكلفان الكبير، فلماذا نرضى بالحقير ولا نطمع في

الخطير؟ ألا ما أجمل قول الشاعر:

إذا ما كنت في أمر مروم
فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت في أمر حقير
كطعم الموت في أمر عظيم؟[1].

إنها دعوة للشباب المسلم أن يجدّوا في أعمارهم لأن الأعمار هي الأعمال النافعة التي يجني منها المجتمع الخير الكثير (فقيمة كل إنسان بما يحسنه) فمن لا عمل ذا قيمة له لا وجود له، ورحم الشاعر عبد الوهاب عزام إذ يقول:

إن هذه الحياة سير حثيث
مَنْ ببطئ فلا يَلُمْ غير نفسه
وصعود إلى المعالي دؤوب
خاب من كان يومه مثل أمسه[2]

❑❑

العابدون اللاعبون

يروي لنا التابعي النبيل عامر الشعبي فقيه الكوفة رحمه الله: أن رجالاً خرجوا من الكوفة، ونزلوا قريباً يتعبدون، فبلغ ذلك عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، فأتاهم ففرحوا بمجيئه فقال لهم: ما حملكم على ما صنعتم؟

(1) تأملات في الدين والحياة، محمد الغزالي، ص: 10.
(2) الناضجات، عبد الوهاب عزام، ص: 132.

قالوا: أحببنا أن نخرج من غمار الناس نتعبد.

فقال عبد الله: لو أن الناس فعلوا مثل ما فعلتم فمن كان يقاتل العدو؟ ما أنا ببارح حتى ترجعوا.

وروى ذلك شيخ المحدثين عبد الله بن المبارك رحمه الله في كتاب (الزهد) فيتخذ هذه الكلمة نبراساً ويقوم بدور ابن مسعود رضي الله عنه حتى نراه ينكر على رفيقه الزاهد العابد الثقة الفضيل بن عياض رحمه الله (ت 187هـ) اعتزاله في مكة وتركه الجهاد. كان الفضيل ثقة وحديثه في الصحيحين يدل على ذلك، ولكن ابن المبارك لا يرضى له ترك الجهاد فيغلظ له الكلام:

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا
لعلمت أنك بالعبادة تلعب
من كان يخضب خدّه بدموعه
فنحورنا بدمائنا تتخضب
أو كان يتعب خيله في باطل
فخيولنا يوم الكريهة تتعب
ريح العبير لكم، ونحن عبيرنا
رهج السنابك والغبار الأطيب
ولقد أتانا عن مقال نبينا
قول صحيح صادق لا يكذب
لا يستوي غبار خيل الله في
أنف امرئ ودخان نار تلهب

هـذا كـتـاب الله يـنـطـق بـيـنـنـا

لـيـس الـشـهـيـد بـمـيـت لايـكـذب

قال ابن المبارك هذا لمن انصرف إلى العبادة كلياً، هل لنا أن نقول لمتزهد اليوم إلا كما قال ابن المبارك؟ يا عابداً لو أبصرت دعاة الإسلام يجاهدون دعاة الكفر والضلال لعلمت أنك بالعبادة تلعب.

وهذا د. حسان حتحوت جمع بلاغة الجميع وناب عنهم وأعطى كلمة الفصل في أبيات واضحة ومؤثرة لذي حس مرهف:

حـسـبـوا بـأن الـديـن عـزلـة راهـب

واسـتـمـرؤوا الأوراد والأذكـارا

عـجـبـاً أراهـم يـؤمـنـون بـبـعـضـه

وأرى الـقـلـوب بـبـعـضـه كـفـارا

والـديـن كـان ولا يـزال فـرائـضـاً

ونـوافـلاً لله واسـتـغـفـارا

والـديـن مـيـدان وصـمـصـام فـر

سـان تـبـيـد الـشـر والأشـرارا

والـديـن حـكـم ربـك قـائـم

بـالـعـدل لا جـوراً ولا اسـتـهـتـارا.

□□

فقه الوزير الداعية

واستمع إلى طريف ما فهمه الفقيه المحدث والوزير العباسي الصالح ابن هبيرة الدوري رحمه الله من قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ﴾[1] إذ يقول: تأملت ذكر أقصى المدينة، فإذا رجلان جاءا من بعد في الأمر بالمعروف ولم يتقاعدا لبعد الطريق.

❑❑

بستان ابن تيمية

يقول ابن القيم الجوزية محدثاً عن أستاذه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتابه القيم (الكلم الطيب والعمل الصالح) ما نصه: قال لي مرة: ما يصنع أعدائي بي؟أنا جنتي وبستاني في صدري - يعني بذلك إيمانه وعمله - أين رحت فهي معي لا تفارقني، إن حبسي خلوة وقتلي شهادة وإخراجي من بلدي سياحة.

ويقول: المحبوس من حبس قلبه عن ربه تعالى، والمأسور من أسره هواه. إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة.

وقال بعض العارفين: لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف. إن الملوك ليحكمون على الورى، وعلى الملوك لَتَحْكُمُ العلماء.

❑❑

(1) سورة القصص، الآية: 20.